

أربطة العلم في مدينة الرياض

في عهد الملك عبدالعزيز

د - محمد بن سعد الشويعر *

اهتم الملك عبد العزيز - رحمه الله - منذ أن استردّ الرياض في ٥ شوال سنة ١٣١٩هـ ، بالعلم والعلماء ، مشاورة وحثاً عليه ، وبذلاً في سبيله ، وتوجيهاً ورعاية .

وما ذلك إلا لمكانة العلم وطلابه ، عند اجداده ، الأئمة من آل سعود ، واهتمامهم به ، لإدراكهم الدور الريادي للعلم ، في كيان الدولة ، ولأنهم منذ عهد الإمام محمد بن سعود رحمه الله [... - ١١٧٩هـ] ، المؤسس الأول للدولة السعودية . كانوا علماء ، ومشجعي طلابه بكل وسيلة .

تلك الدولة التي سارت في أدوارها الثلاثة ، على إقامة شرع الله ، والدعوة إلى دين الله ، ولا تزال سائرة على هذا الدرب ، حيث قطعت من عمرها المديد ٢٦٣ عاماً ، ولم تحد عن هذا المنهج طوال هذه المسيرة ، بل صاروا يتوارثون هذا الطبع ، ويؤصله السابق في اللاحق .

وفي أول يوم للبيعة ، بعد أن استسلمت الرياض وما حولها ، للملك

* ليسانس من كلية اللغة العربية بالرياض ١٣٧٩هـ .

- ماجستير من كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر ١٣٩٣هـ .

- دكتوراه من كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر ١٣٩٧هـ .

- يعمل الآن مستشاراً لمساحة مفتي عام المملكة ، ورئيس هيئة تحرير مجلة البحوث الإسلامية .

عبد العزيز - رحمه الله - في شوال عام ١٣١٩هـ ، كان للعلماء ، الذين سلم لهم الملك عبدالعزيز ، ووالده الإمام عبد الرحمن - رحمهما الله - قيادة الرأي والمشورة ، فيمن تتم له البيعة : فالإبن عبد العزيز ، يصر أن الأمر ، لا بد أن تسلم قيادته لوالده ، ولذا فإنه الأحق بالبيعة ، والإمام عبدالرحمن ، يتخلى عنه ، ويطلب من ابنه عبد العزيز ، أن يمدّ يده ، لبياعه هو والناس له تبع .

وبعد أخذ وردّ ، يرون أن صلاة الجمعة قد حانت ، وبعد الصلاة يُطلب من العلماء ، والجميع في مسجد الإمام تركي بن عبدالله ، حسم الأمر ، فكانت وجهة نظر العلماء ، متفقة مع رأي الإمام عبد الرحمن بأن البيعة لابنه عبد العزيز ، وأن يسير في أموره ، تحت مشورة والده .

وقد تم الأمر على هذا ، وكان أول من بايع الإمام عبد العزيز ، العلماء ، ثم والده الإمام عبد الرحمن ، ثم بقية الناس ^(١) .

وإن مما يربط الموضوع ببعضه ، الإشارة إلى أن العلم الشرعيّ ، كانت له منزلة كبيرة في نجد منذ القدم ، وأن النّنف المرصودة ، تنبئ عن توفر حلقات الدروس في أمهات المدن ، واستمرار الرحلات في سبيل طلب العلم : إلى الحرمين الشريفين ، والحوضر القريبة ، إذا تيسرت ثم البعيدة بالنسبة لمواصلات ذلك الزمان كالشام ومصر ، والهند والعراق .

فهذا الشيخ أحمد بن يحيى بن عطوة ، المتوفي بالعينينة عام ٩٤٨هـ ، قد طلب العلم في المدرسة الصالحية بدمشق ، ونسخ كثيراً من كتب الفقه الحنبلي ، الذي آثاره باقية حتى الآن ، في المكتبة الظاهرية بدمشق ، مع أنه نقل معه إلى نجد بعدما عاد إليها ، كتباً كثيرة ، فكان مقصداً لطلاب العلم ، الذين

(١) انظر تفصيل ذلك لدى أحمد عبد الغفور عطار في كتابه صقر الجزيرة ٢ : ٢٦٨ - ٢٧١ .

جلس لهم في جامع العيينة ، حتى قيل : أن عددهم بالمئات .
وفي وقته كانت العيينة قاعدة للحكم ، المرتبط بالأحساء ^(١) أيام دولة بني خالد فيه ، حيث ازدهر العلم ، وقصد العيينة طلابه .
ثم لما قامت الدولة السعودية في دورها الأول ، بعدما تصافحت يدا الإمامين محمد بن سعود ، ومحمد بن عبد الوهاب - رحمهما الله - في الدرعية عام ١١٥٧هـ ، حيث قامت الدعوة الإصلاحية ، فكانت الدرعية مقصداً كبيراً للعلم ، وداراً يشدُّ إليها طلابه الرِّحال .
فبذلك قصدها طلاب العلم من كل صوب ، وكان مسجد الدرعية ، الذي جلس فيه الشيخ : محمد بن عبد الوهاب ، جامعة علمية ، صور حالهم المؤرخ : ابن بشر [١٢٢٠ - ١٢٩٠هـ] ، وابن غنام [... - ١٢٢٥هـ] ، وهو مسجد الطريف .

يقول ابن بشر في تاريخه عنوان المجد : إن طلاب العلم لحرصهم ، كانوا يأخذون العلم عن الشيخ : محمد بن عبد الوهاب [١١١٥ - ١٢٠٦هـ] ، بعد صلاة الفجر ، حتى طلوع الشمس ، وفي الليل ، أما في أطراف النهار فكانوا يذهبون لأعمالهم من فلاحه وتجارة وغيرهما ^(٢) .

وبعد أن هدم ابراهيم باشا [١٢٠٤ - ١٢٦٤هـ] الدرعية في عام ١٢٣٣هـ ، وأجلى أهلها عنها ، تشتت العلماء ، فمنهم من نجا بنفسه في أنحاء الجزيرة . أو في أطرافها بالخليج واليمن والشام ، ومنهم من حُمِلَ إلى

(١) يراجع في هذا ترجمته عند ابن بسام في كتابه : علماء نجد خلال ثمانية قرون ١ : ٥٤٤ - ٥٥٢ .

(٢) يراجع عنوان المجد في عام ١٢٠٦هـ وفاة الشيخ محمد عبد الوهاب ، وعام ١٢١٧هـ في مقتل الإمام عبدالعزيز ، وعام ١٢٢٩هـ وفاة الإمام سعود .

مصر ، وخاصه أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وأحفاده ، فتزودوا علماً بمصر .. ومنهم من قتل وأوذى ، ونهت كتبه أو أحرقت ، كما حصل للشيخ عبد العزيز بن سليمان في حرملاء ، الذي قال ابن بشر في تاريخه : بأن حسين بك ، بعد أن قتل قاضي ثادق : حمد العريني ، وضرب العالم عبدالله بن حيدر ، وعبد الرحمن بن ماجد في عام ١٢٣٦هـ .. حتى ماتوا .. وضرب غيرهم وعذبوا بأنواع العذاب .

ذهب إلى حرملاء ، وأمر بحبس عالمها عبد العزيز بن سليمان ، ثم أخذ من عنده خزانة كتب عظيمة ، وأحرق جزءاً كبيراً من مكتبته ، وأخذ أحمالاً ، وعذب الشيخ بالضرب وأنواع العذاب ^(١) .

وقد تنقّس العلماء ، وطلاب العلم الصعداء ، عندما أعاد الإمام تركي بن عبدالله [... - ١٢٤٩هـ] ، للدولة السعودية مهابتها في الدور الثاني من أدوارها ، واتخذ الرياض قاعدة لها ، وبنى مسجده : جامع الإمام تركي بن عبدالله ، الذي أصبح قلعة علمية ، التأمّ شمل طلاب العلم فيه ، وحرص هو على تشجيع العلم - كما هي قاعدة أسلافه - ووضع ما يعين الطلاب على التفرغ للطلب .

فكان لعلماء الدرعية ، الذين جذبهم للرياض ، واهتمام الإمام تركي بن عبدالله ، وتشجيعه ، دور كبير في تنشيط الحياة العلمية في الرياض من جديد ، بعد الدرعية ، بعد أن جثت جذوته في محاولة لاجتثاث جذوره ، وتحجيف منابعه ، مع حملة إبراهيم باشا [١٢٠٤ - ١٢٦٤هـ] ، وما تبعها من استنزاف .. فبدأت الأربطة والأوقاف ، تتكاثر تشجيعاً لطلاب العلم ، وجذباً لهم .

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد ١ : ٤٥٤ - ٤٥٦ .

دور الملك عبد العزيز :

لقد كان شعار هذا الإمام المصلح [١٢٩٧ - ١٣٧٣هـ] ، كما قال عنه الريحاني [١٢٩٣ - ١٣٥٩هـ] ، في تاريخه :

نبني كما كانت أوائلنا «م» نبني ونعمل «فوق» ما عملوا

فهو بطموحه وعلو همته، يرى للعلم مكانة ، يحلها من نفسه ، ومن تشجيعه المكان الأعلى، ولذا لم ينس، وهو في غمرة الأحداث ، في دور البناء والتوحيد، لأجزاء البلاد أن يعطي العلم مكانته ، وتشجيعه بذلاً وعطاً، بحسب إمكانيات الموارد المحدودة ، ودخل البلاد الضعيف ، علاوة على ما يستلزمه دور البناء من أهميته ، لتوفير الموارد الاساسيه ، التي كانت غير موجودة ، حيث سبق ذلك أول سنة أعدت فيها الميزانيه للدولة ، بعدما استقرت البلاد، وأصبح للدولة موارد ثابتة ..^(١).

وقد ذكر كثير ممن كتب عن الملك ، تقديره للعلماء ، ومشاورتهم ، وتقديمهم على إخوانه وأبنائه ، وكبار جلسائه^(٢) .

كما كان يحث العلماء كل في مقر إقامته ، على الجلوس لطلاب العلم .. وتنظيم دروس لهم ، مع بذل المساعدات للطلاب .. كما يأمرهم بتخصيص وقت لتعليم العامة .. كما يلي :

- في المساجد تلقى كلمات وعظية منهم بين وقت وآخر .

- وتحدّد دروس في كتب الحديث والتفسير ، بعد صلاة العصر ، وقبل صلاة العشاء ، يشرح الشيخ ما تيسر منها .

(١) يذكر فؤاد حمزة في كتابه المملكة العربية السعودية أن أول محاولة للميزانية كان في عام ١٣٤٨هـ ولكن الميزانية الثانية عام ١٣٥٣هـ .

(٢) يراجع في هذا الزكلي في كتابه : شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ٢ : ٧٤١ - ٧٤٥ .

- في الضحى يومى الأثنين والخميس ، يكون للقاضي ، أو أحد العلماء حديث في السوق التجارية في مكان معيّن فيه ، ثم يجيب عن أسئلة أهل السوق وخاصة ما يعرض لهم في بيعهم وشرائهم .

- بعد صلاة الفجر يعلم الناس ، ويحفظون دينهم .. في رسالة صغيرة بواسطة إمام المسجد على هيئة سؤال وجواب .

وقد حدّثني سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله - أنه بعدما تكاثر عدد الطلاب عنده ، وهو قاضٍ بالخرج - مدينة الدلم - ، وكلهم متفرغون للطلب ولا موارد لهم ، طلب من الملك عبد العزيز وولي العهد سعود - رحمهما الله - .. فأمر كل منهما بمبلغ أرسل للشيخ عبدالعزيز ، ليصلح حال الطلاب الراغبين في الدراسة .. المتفرغين لها عنده .

وكدليل على حبه للعلم والعلماء ، وتذليل الصعاب التي تعترض طلاب العلم .. فقد حرص في بداية أمره ، ومع ضيق الموارد ، على طباعة كتب العقيدة والفقه ، والتفسير والتاريخ النافعة ، لتوزّع على العلماء ، والطلاب مجاناً ، لندرة الكتب ذلك الوقت ، وقلة ما في أيدي الناس ، والطلاب بصفة خاصة ، وهي كثيرة ومنها :

- في عام ١٣٤٦هـ ، تم في مطبعة المنار لصاحبها محمد رشيد رضا طباعة مجموعة التوحيد المشتملة على عدة رسائل في التوحيد منها : كتاب التوحيد ، كشف الشبهات ، قرّة عيون الموحدين .. مع جملة رسائل في التوحيد ، على نفقة الملك عبد العزيز ووزعت مجاناً على طلاب العلم^(١) .

- في عام ١٣٤٧هـ تم في مطبعة المنار أيضاً طباعة تفسير الحافظ ابن

(١) انظر تذكرة أولى النهي والعرفان لابن عبيد ٣ : ١٧٧ .

كثير ، وتفسير البغويّ على نفقة جلالته رحمه الله . . في تسعة مجلدات ، وجعل ابن كثير في عالي الصحيفة والبغويّ بأسفلها طباعة حسنة جميلة جداً^(١) .

- في آخر عام ١٣٤٨هـ شرع في طبع البداية والنهاية : تاريخ ابن كثير ، على نفقة الملك عبدالعزيز رحمه الله ، وقد خرج منه أربعة عشر مجلداً^(٢) .

- في عام ١٣٤٩هـ طبعت رسائل أئمة الدعوة من آل الشيخ وغيرهم ، في مطبعة المنار بمصر بأمر من الملك عبدالعزيز رحمه الله وعلى نفقته ، في ثلاثة مجلدات كبيرة ، بلغت أكثر من ١٦٠٠ صفحة^(٣) .

- كما أمر الملك عبد العزيز بطباعة كتاب روضة المحبين لابن القيم رحمه الله ، وذلك في مطبعة المنار بمصر ، على نفقة جلالته .

وأيضاً في نفس العام طبع تاريخ نجد لابن بشر المعنون باسم : عنوان المجد في تاريخ نجد في المطبعة السلفية بمكة المكرمة على نفقة الملك عبدالعزيز رحمه الله ، وخرج في مجلدين^(٤) .

- في عام ١٣٥٠هـ أمر الملك عبد العزيز - رحمه الله - كعادته بطباعة كتاب : مختصر طبقات الحنابلة لابن أبي بعلی اختصار الشيخ شمس محمد بن محمد بن عبد القادر النابلسي ، فتتمت الطباعة في مطبعة الإعتدال ، وقد ذيلت بذيّل وضعه الشيخ ابن رجب رحمه الله^(٥) .

وقد استمرت طباعة الكتب على نفقة الملك عبد العزيز ، حيث يقول

(١) نفس المصدر السابق ٣ : ٢١٢ - ٢١٣ .

(٢) نفس المصدر السابق ٣ : ٢٣٧ .

(٣) نفس المصدر السابق ٣ : ٢٤٠ .

(٤) انظر المصدر نفسه ٣ : ٢٤١ .

(٥) ينظر نفس المصدر ٣ : ٢٦٣ .

خير الدين الزركلي : وجه الملك عبدالعزيز عناية خاصة ، إلى كتب العلوم الإسلامية المخطوطة ، فأمر بطبع طائفة منها ، وتوزيعها مجاناً ، وأمامي الآن نيف ومائة مجلد ، من تلك الكتب .. ثم ذكر بيانها .

وذكر بعد سردها : أن كتباً كثيرة طبعت في الهند ومصر ، لم يذكر عليها اسم الملك عبد العزيز إلا ما جاء على بعض مطبوعاته في الهند ، من أنها : « طبعت على نفقة من قصده الثواب من رب الأرباب » ^(١) .

- وفي بحث للأستاذ عبد العزيز الرفاعي رحمه الله ، قدم للمؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز المقام في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض بربيع الأول عام ١٤٠٦هـ ، عن عناية الملك عبد العزيز بنشر الكتب أجرى دراسة وافية ، وحصر ما وصل إليه علمه من هذه الكتب ، وقد قال : لعل أقدم كتاب طبع على نفقته هو تاريخ ابن غنام « روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام » المطبوع في بومباي بالهند سنة ١٣٣٢هـ ، إلا أن الشيخ حمد الجاسر يرى : أن من أقدم ما طبع على نفقة الإمام عبد العزيز في الهند ، ديوان ابن سحمان المسمى : الجواهر المنضدة الحسان ، ومجموعة كتب من تأليف الشيخ سليمان بن سحمان ، في ردّ على أناس عارضوا الدعوة ^(٢) .

وباطلاعي على ذلك الديوان بطبعته الهندية ، المختوم بتقريض من الأديب : محمد بن عبد العزيز بن هليل بقصيدته التي قافيتها « لام » ، وجدت هذه العبارة : تمّ الديوان بعون الملك المّان ، ٣ جمادى الأول عام ١٣٣٧هـ ^(٣) .

(١) يراجع في هذا شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز للزركلي ج ٣ ص ١٠٢٩ - ١٠٣١ .

(٢) يراجع في هذا بتوسع بحث الأستاذ الرفاعي المقدم لذلك المؤتمر مع ملحقه قائمه باسماء الكتب .

وص ٩ من البحث .

(٣) ص ٣٢٠ من الديوان .

الأربطة العلمية :

ونستطيع أن نجمل من المعلومات المتناثرة ، عن الأربطة العلمية في مدينة الرياض في عهد الملك عبد العزيز ، والتي كان يراها ويهتم بها ، أن الناحية العلمية شهدت أساليب ووسائل عديدة في عهد هذا الرجل الذي لم يشغله شاغل عن الاهتمام بالعلم ، وتهيئة الفرص ، بعد أن ضرب النموذج بنفسه ، ومجلسه الذي كانت تقام فيه الدروس ، والمناقشات العلمية ، وعهده امتداد لمن قبله من أئمة آل سعود ، إلا أن الازدهار والتوسع كان في عهده ومن هذه الأساليب :

- تقديره للعلم وإكرامه العلماء واحترامهم واستشارتهم .
- غيرته العلميّة ، وحثّه على طلب العلم ، وبحثه في مجالسه عن السبل المعينة لذلك .
- تشجيعه لطلاب العلم بالوفود وحلقات العلماء بالرياض ، وتيسير ما يعينهم بالإعانات المادية : من طعام وسكن وشرهات وما إليها . وفي هذه المرحلة نشأت الأربطة بالرياض .
- طباعة الكتب المعينة للطلاب ، على تذليل ما يعترضهم لقلة الكتب من جهة ، ولفراغ أيدي الطلاب من جهة ثانية .
- توسيع النطاق العلمي في كل جهة . بتكليف القضاة ، أن ينشروا العلم في مناطقهم بوسائل متعددة ، تخاطب به العقول المتباينة في مثواها ، علاوة على جلوسهم للقضاء ، وإنهاء ما بين الناس من خصومات .
- وهي متزامنة مع السابقة الجهود المبذولة في توطين البادية في الهجر وتعليمهم ، ووعظهم وإرشادهم .

- فتح المدارس ، وخاصة ذات الصبغة الشرعية ، كدار التوحيد بالطائف عام ١٣٦٣هـ ، والمعهد العلمي بالرياض عام ١٣٧٠هـ ، التي تبعها التوسع بعد ما استقرت ميزانية الدولة . وتشبّيت الموارد فتمدّدت ونما عددها ، وتلاها كليات متعدّدة ، كانت نواة فيما بعد للجامعة في المملكة .

وقد خصص الملك عبدالعزيز للطلبة الدارسين بهذه المعاهد مكافآت شهرية جزلة دفعتهم للمنافسة العلمية .

وقد انتهت مهمة الأربطة بالرياض تدريجياً بعد فتح معهد الرياض العلمي ، ثم معهد إمام الدعوة ، ثم كلية الشريعة ، فكلية اللغة العربية . والأربطة العلمية في مدينة الرياض ، وما تقدمه من معلومات عنها قليلة، مصدرها صدور الرّيعيل الأول ، ممن أدركناهم من العلماء ، وهم الذين حرصوا على الاستفادة بهمتهم ورغبتهم ، من الفرصة المتاحة لطلاب العلم ، وثابروا على الجلوس للعلم ، متحمّلين الغربة ، والسهر في سبيل العلم ، فصبروا وصابروا ، أسوة بأسلافهم من علماء الإسلام . في سائر العصور ، ولما يجدونه من الملك عبدالعزيز والمشايخ من تشجيع ، وحسن توجيه . فشدّوا الرحال ، إلى مجالس العلماء المعروفين بمكانتهم العلمية واخلاصهم في بذل العلم ، وتذليل ما يعترض طلبه العلم ، المتوفر عددهم بالرياض .

١ - كانت أربطة العلم في بداية أمرها عبارة عن غرف ملحقة ببعض المساجد ، أو بيوت صغيرة طينيّة ، قريبة من المسجد الذي تقام فيه الدروس ، وبعضها موقوف على الطلاب ، هذه الأمور تخصّص لسكنى الطلاب الغريباء كل مجموعة في غرفة واحدة ، هذه البيوت بعضها موقوف على طلبة العلم أو

الأعمال الخيرية ، أو الصوام ، مثلما توقف بعض المحاصيل الزراعية عليهم أيضاً .. وأغلب هذه الأوقاف من أوقاف آل سعود وآل الشيخ .. وغيرهم . وأكثرها يشتريه ولي الأمر - الإمام - أو يأمر باستئجاره ، ويعهد لأكبر شخصيه علمية الإشراف عليها ، وإسكان من يستحق السكن فيها .. وتوزيع الطلبة بحسب مستوياتهم .

هذه المساكن ليست مؤثثة ، وإنما يأتي الطالب بمستلزماته ، من فراش وأدوات القهوة والطعام ، من عند أهله ، ويهيئ الطلبة طعامهم - في أول الأمر - ومستلزماتهم اليومية بأنفسهم . أما من كان أهله ، أو أحد قرابته من سكان الرياض ، أو صديق لأسرته ، فإنه يحل ضيفاً عندهم ، ما شاء الله أن يمكث ، حتى يتهيأ له سكن من مساكن الطلاب .

والطلبة يسمونهم الناس «الأخوان» وبيوتهم هذه التي أمنتها الدولة تسمى «بيوت الأخوان» وتطلق بالعامية بفتح الهمزة .

٢ - ولرعاية الملك عبد العزيز ، منذ استعاد الرياض في ٥ شوال سنة ١٣١٩هـ للعلم والعلماء ، وإدراكه دور العلم في بناء الأمة ، فإنه اهتم بنشره ، ولم يشغله عنه شاغل ، واسترشد برأي العلماء في السبل المعينة على ذلك ، فاهتم بتشجيع الطلاب في أطراف البلاد التي تدخل تحت نفوذه ، تدريجياً ، فقد توسّع في القاعدة الأساسية للعلم ، وخصّص للطلاب ، ما يعينهم على التفرغ في سبيل أخذ العلم ، وعهد إلى رجاله ، كي يرعوا شئونهم: من مخصصات وإعاشات وشرهات .

٣ - ولما كانت موارد الدولة - خلال المسيرة - شحيحة ، فقد بدأ الإنفاق على طلاب العلم في الرياض ، عينياً بالأرزاق : تمر وعيش - وهو القمح - ،

وتسمى برّوة أو عادة ، تصرف مرة واحدة عند الحصاد ، لأنها من الزكاة التي تجب سنوياً .. أو من الأوقاف المعيّنة بأصنافها في المزروعات .

تصرف للطلاب وللعلماء والقضاة ، كل بحسبه ، يقتات منها ويبيع ما يستغنى عنه ، لشراء أو مقايضة بما يحتاجه من حاجات أخرى .

٤ - وقد كانت النفوس طيبة ، والناس على اختلاف مستوياتهم - وخاصة الفلاحين لأن منطقة الرياض كثيرة المزارع والنخيل - لديهم محبة لطلاب العلم ، وعاطفة نحوهم ، فكانت تخصّص : بعض الدور ، والكتب والثّمار من المحاصيل الزراعية ، وأنواع من الأطعمة ، عندما يحين وقت قطف الثمار تطبيقاً لقوله تعالى : «كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده»^(١) لأن ذلك مما يعين على البركة . ويحث الجميع على الجود للعلماء ، مع قدوتهم بالملك عبد العزيز بعمله نحو طلاب العلم وتشجيعه . فكان كل وجود بما يقدر عليه ، محبة للعلم ، ولمكانته في نفوسهم ، وتعاطفاً مع الطلاب رجاء أن ينفع الله بهم .

٥ - وكما هو معلوم من سيرة الملك ، للعلماء عنده مكانة ، منذ وطأت قدماء الرياض قائداً ، ثم مع مسيرته في توحيد بلاده ، فكان ينزلهم المكان الأعلى عنده ، ويستشيرهم في كثير من الأمور ، ويسألهم عن كل أمر يتعلق بشرع الله ، ويجعلهم في المقدمة لأي أمر ، في كل بلد يمرّ به^(٢) .
كما كان يختار من الطلبة من يزيه العلماء بالقدرة العلمية على القضاء ،

(١) سورة الأنعام آية ١٤١ .

(٢) ينظر في هذا على سبيل المثال كتاب أصدق البنود في تاريخ عبد العزيز آل سعود لعبدالله الزامل ص ١٤٨ - ١٥٠ بعد دخوله مكة عام ١٣٤٣هـ ، وص ١٥٤ - ١٦٧ مناظرة العلماء ، وص ٢٤٣ - ٢٦٦ عن الجمعية العمومية ودور العلماء وغير ذلك مما هو مبثوث في الكتابات عنه رحمه الله عند هذا المؤلف وعند غيره .

أو الدعوة والإرشاد ، فيوجههم لأعمالهم في البلدان ، ويحثهم على نشر العلم : جلوساً لطلابهم ، ووعظاً وإرشاداً للتذكير ، وتعليماً للعامة ، وفتوى للمستترشدين . فكان مع إحلالهم المكانة التي هم أهل لها ، يتابعهم في أعمالهم ، وينصح منهم من هو في حاجة للنصح ، وتوجيه من بان منه رأي ، استدركه عليه العلماء ، حتى يهتم بما أنيط به .

ولا ينسأهم من العطاء ، الذي يعينهم على المعيشة لهم ولأسرهم ، لأنهم يدركون أن طالب العلم والقاضي ، لا يصح له المضاربة في الأسواق بيعاً وشراءً ، فأراد أن يريحهم بما يدفعهم إلى العطاء والعمل ، ويعينهم على التفرغ لما وجههم إليه .

٦ - وقد ظهرت آثار ذلك علماً ومحبة فيه ، في الحاضرة والبادية .. فعندما بدأ توطين البادية كان الملك يختار من طلاب ، أربطة الرياض ، لكل هجرة مرشداً ومعلماً ، ليتعلم الكبار والصغار ، أمور دينهم ، وكان المسجد هو المدرسة ، وهو مصدر العلم ، وملتقى المتعلمين مع شيخهم ، كما كان أيضاً مقرّ الفتيا - فأدّى المسجد دوره كما كان في صدر الإسلام ، إذ بدأ مثل بدايته وبساطته .

٧ - ولما لم يكن العدد الكافي من العلماء متوفراً ، حتى يبشّهم في أنحاء البلاد التي بدأت تتسع ، والهجر التي تزايد عددها ، ومع رغبة البادية في التحضر ، عندما أخذ بأيديهم للاستيطان الملك عبدالعزيز وأعانهم على ذلك ، فقد وجد الحل في هؤلاء الطلاب الذين دفعهم حبّ العلم إلى القدوم للرياض للنهل من موارده ، وأعانهم على ذلك ما يسره عبد العزيز لهم ، من أشياء تريحهم على التفرغ للعلم .. فسدّوا الثغرة التي برزت ملحة أمام الملك عبد العزيز .

كما زوّد المدن بقضاة من أوائل هؤلاء الطلبة ، حيث وضع الأسس في قاعدة علمية بالرياض ، أعانت تدريجياً على تخطّي الصعاب ، والإعانة على توسيع هذه القاعدة الأساسية .

٨ - وقد كان بعض طلاب العلم يجمعون بين الجلوس للعلم ، وأسباب المعيشة ، كما كانت الحالة في أيام الدرعية ، عندما ازدهر العلم بها . فسار الخطّان المتوازيان في اتجاه سليم وجيد ، فزادت الرغبة ، بعد أن تيسرت السبيل ، بزيادة البذل من القيادة التوجيهية ، التي يمسك بمقودها الملك عبد العزيز ، مع زيادة الإيرادات للخرينة ، حيث مبدأ عبد العزيز : أنفق ما في الجيب يأتيك ما في الغيب .

وقد تهيأت للجميع الفرص ، في أعمال الدولة الإدارية والكتابية .. مع المجال الأول : القضاء والدعوة والإرشاد وإمامة وخطابة المساجد .. إذ مع الأيام تتسع الفرص ، مع اتساع دائرة التعليم .

الفرص المهيأة :

شعر الملك عبد العزيز - رحمه الله - مع حسن رعايته ، واستمرار متابعتة للعلم وطلابه ، الذي تبعه احتساب العلماء وإحساسهم بأهمية أداء رسالة العلم ، وتبليغه وعدم كتمانها . هذا الشعور بانتهج معه جهوده التوجيهية ، التي أعطت ثماراً يانعة ، ورغبة جامحة .

وقد حرك جذوة هذا النشاط الذي اهتم به الملك عبد العزيز ، جذور مكنّتها في الرياض ، الإمام تركي بن عبد الله [... - ١٢٤٩هـ] ، رحمه الله ، عندما استعاد هيبة الدولة ، وأعادها بعد توفيق الله له ، بمكانتها في دورها الثاني ..

وجعل الرياض قاعدة للحكم والعلم، الذي بذل في سبيله الشيء الكثير، واستقطب هو وابنه فيصل [...] ١٢٨٢هـ] العلماء الذين برزوا في زمن كل منهما، امتداداً للجذور العلمية العميقة، في الدولة السعودية أيام دورها الأول. فكان الملك عبد العزيز - رحمه الله - ربّان السفينة العلمية، بعد تسلمه الدفة وكانت الرياض زاخرة بالعلماء وأغلبهم من أحفاد الإمام محمد بن عبد الوهاب [١١١٥ - ١٢٠٦هـ]، رحمه الله، البارزين علمياً، في فنون الشريعة وعلومها، واللغة العربية، وتلاميذهم النابهين.

وعندما شجّع الملك عبد العزيز، طلبة العلم من أنحاء الجزيرة، بل وفد من أطرافها وخارجها، فإنما أراد لهم النهل من المورد العذب العلمي، والالتفاف مع الحلقات، التي يتصدرها العلماء البارزون بالرياض أمثال: الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ [١٢٦٥ - ١٣٣٩هـ]، والشيخ حسين آل الشيخ [١٢٦٦ - ١٣٤٠هـ]، والشيخ سعد بن عتيق [١٢٧٩ - ١٣٤٩هـ]، والشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف، والد سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمهما الله [١٢٨٠ - ١٣٢٩هـ]، والشيخ صالح بن عبد العزيز [...] ١٣٧٢هـ]، والشيخ محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية، [١٣١١ - ١٣٨٩هـ]، الذي تخرج على يديه الرعيل الأول، من مشاهير العلماء والقضاة، في عهد الملك عبد العزيز، وأبنائه من بعده، والشيخ حمد بن فارس [١٢٦٣ - ١٣٤٥هـ] وغيرهم ممن كان لهم شهرة بالرياض.

فاهتم الملك عبد العزيز برعاية هذا الجو العلمي، والتشجيع عليه، وتذليل الصعاب التي تعترض مسيرتهم العلمية.. فوضع الحوافز المتمثلة في:

- ١ - تهيئة الجو المناسب ، لطلاب العلم ، وتشجيعهم للتوافد على الرياض للنهل من موارد العلماء .
- ٢ - السعي في طباعة الكتب في العقيدة والفقه الحنبلي والتاريخ واللغة العربية ، وتوزيعها عليهم بالمجان .
- ٣ - تخصيص ما يجعلهم متفرغين للدراسة من أمور عينية ونقدية .
«بروة» و «خراج» .. مع الكسوة في رمضان كل بحسبه .
البروة : هي مقدار معين من «العيش» يقدر بالصّاع من القمح ، والتمر يقدر بالوزن ..
لكل مقدار معين من النوعين : كيلاً فيما يكال ، ووزناً مما يوزن ، يحولهم الملك عبد العزيز على مندوبيه ووكلائه في مناطقهم ..
أما الخراج : فهو مبلغ مالي مرة بالسنة لكل طالب علم ، ويسمى أيضاً «عادة» : فضة أو ذهباً والفضة كانت في بداية الأمر من العملة الهندية السائدة في الخليج وشرقي المملكة ووسطها ، بحكم التعامل والتجارة وهي «ربّية» ، ثم جاء بعدها الريال الفرنسي .. وذلك قبل أن يضرب الريال السعودي في عام ١٣٤٥هـ .
أما الذهب فالسائد نوعان : العصملي وجورج .. فالأول جنيه عثماني ، والثاني وهو الأغلى إنجليزي .
- ٤ - سكن يقيم فيه الطلبة وهو نوعان : رواق الطلبة «الرباط» وبيوت الطلبة «الأخوان» .
- ٥ - تأمين الوجبات مرتين يومياً للطلاب من مضيف ابن مسلم الذي أوجده الملك عبدالعزيز بالرياض .

متى وجد الرباط ؟ :

كان الملك عبدالعزيز رحمه الله كما نوهنا من قبل ، كلما انضم جزء من أطراف الدولة إلى الأصل ، أثناء سعيه الحثيث لتوحيد البلاد ، والقضاء على الفرقة ، يحث أبناء كل بلد على طلب العلم الميسر سبيله . بحلقات المشايخ في الرياض - ثم مجالس الحرمين الشريفين بعد دخوله مكة المكرمة - لأن الرياض أصبحت مقصداً لكل وافد يريد الارتواء من مناهل العلم ، وبالعالم خيرى الدنيا والآخرة ، حيث يجدون التشجيع وتذليل العقبات ولما انتشر لديهم عن توافد الطلاب على الرياض ، وماهى لهم من فرص علمية ، يسرت أسبابها .

فبذلك تكاثر عدد الوافدين للرياض ، وزادت الرغبة العلمية .. فأشار المشايخ وعلماء الرياض على الملك عبد العزيز ، بالاهتمام بزيادة المساكن التي توفر الراحة ، فأعجبه هذا الاقتراح ، بعد أن رأى نماذج من الأربطة في مكة والمدينة ، بعد أن انضمّا إلى الوحدة الوطنية ، وأصبح اسم الدولة : مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها .. ورأى تحقيق شئ من ذلك : -

١ - أمر الملك عبد العزيز ببناء رباط دخنة في الخمسينات من القرن الماضي تقريباً ، حيث لم نستطع تحديد العام الذي بدأ فيه البناء ، ولكن كما يقول أحد المشايخ الذي سكنوا فيه مشافهة ، إنه متزامن مع بناء قصر الملك عبد العزيز في المربع ..

والملك عبد العزيز سكن قصر المربع في حدود عام ١٣٥٦هـ .. فكأن بناء الرباط صار في أوائل الخمسين .

يقع رباط دخنه ، جنوب مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله ، قد أقيم على حدّ سور الرياض من الجهة الجنوبية ، يبدأ من الجهة الغربية من

«دروازة» بوابة دخنه تقريباً ، ويمتدّ شرقاً حتى يحاذي ركن مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم الجنوبي الشرقي ..

- هذا الرباط - وقد سمي في أول الأمر - رواق طلاب العلم - مكوّن

من دورين :

الأول وهو الأرض : دكاكين في حدود ٤٠ دكاناً ، برواق مظلل ، جعل الملك عبد العزيز هذه الدكاكين ، وفقاً على طلاب العلم في هذا الرباط .. سميت دكاكين دخنه ، وواجهتها جنوبية ، وقد سكنت حال انتهائها ، وفيها تباع المواد الغذائية .. ويقابلها ساحة دخنة ، التي جعلت مكاناً لبيع الأغنام والأعلاف .

وكان الدور الثاني : - وهو ما فوق الأرضي ، سكناً لطلاب العلم وغرفته في حدود ٤٠ غرفة ، ^(١) كبيرة لطلاب العلم سكناً يقيمون فيه ، لأن الغرفة بمساحة الدكان تحتها ، مع زيادة ما يقابل الدكان جنوباً من الرواق .. وهذا الرباط مع دكاكينه كان مبنياً بالطين ، والرواق مقام على السّواري .

وكانت الغرفة الواحدة مخصصة لأكثر من شخص ، من الطلبة المبتدئين ، وهم صغار طلبة العلم ، والمدخل والدرج لهذا الدور من الجهة الشمالية ، لأنه أقرب لمسجد الشيخ ، حيث الصلاة والدراسة .

كما اختلفت أيضاً روايات المشايخ الذين سألت عن عدد الطلبة لكل غرفة ما بين طالبين ، إلى ستة بحسب الحاجة والفرصة .

- استمر هذا الرباط سكناً للطلاب ، من تاريخ بنائه حتى عام ١٣٧٤هـ ،

(١) اختلفت روايات من سألت عن عدد الغرف المخصصة لسكنى الطلاب والدكاكين ، منهم من نقصها عن الأربعين ، ومنهم من حددها بالأربعين ، ورواية زادت عن الأربعين فأخذت الوسط ٤٠ .

حيث انهدم جزء منه جراء السيول الكثيرة ، التي نزلت على الرياض ذلك العام ، حيث استمر هطولها وبكثافة قرابة شهر بتواصل .

وكلما انتقل أحد الطلبة لسكن آخر ، أو وُجّه لعمل من الأعمال خارج الرياض ، أعطى مكانه لطالب غيره .

٢ - أما كبار الطلبة ، فقد خصصت لهم مساكن أخرى ، وهى بيوت طينيه ، لأن البناء السائد ذلك الوقت هو من الطين .

وهذه البيوت كبيرة ، متعددة الغرف ، من دورين أيضاً ، ويأمر الملك عبدالعزيز بشرائها لسكنى طلاب العلم ، وقد تكاثرت عاماً بعد عام ، بتكاثر طلاب العلم .. لكنها لم تأخذ اسم «الرباط» وإنما عرفت باسم «بيوت الأخوان» .. وغرض الرباط وبيوت الأخوان واحد ، وإنما الفرق في الاسم فقط .

بل أكثر ساكني الرباط ، يحرصون على بيوت الأخوان ، والانتقال إليها من الرباط ، لأنها أحسن سكناً ، وأهدأ .. وفيها مقومات الراحة ، وما يعين على الاستذكار ما ليس في «الرباط» علاوة على الراحة ، وتعين على استقبال الضيوف والزملاء ، المقيمين في الرياض ، والوافدين من خارجها .. وتعين على وضع متطلبات كل دارس من كتب ومتاع .. حيث يغلق عليها بمفتاحه الخاص .

- استمرت هذه البيوت الموجودة في الأحياء القريبة ، من مجالس العلماء في مسجد الشيخ محمد ، وهذه الأحياء التي بها البيوت كانت دخنة وما حولها: الوسيطى ، معكال ، جبره ، حارة آل حماد ، الدويبة .. واستمر الانتفاع بها ، حتى بعد أن خفّ دور مسجد الشيخ محمد رحمه الله ، بانتقال طلابه إلى معهد الرياض العلمي ، ثم كليتي الشريعة واللغة العربية من عام ١٣٧١هـ ، ومعهد

إمام الدعوة .. التي أختير لها أن تكون أولاً في حي دخنه ، ثم في القرى مكان مستشفى الرياض آنذاك ، ولا يزال المعهد العلمي بهذا المكان حتى الآن .. ومعهد إمام الدعوة بحي دخنه : الحي العلمي في تاريخ مدينة الرياض ، حيث كان العلماء والقضاة ، كلهم أخذوا العلم بهذا الحي ، الذي رسّخ مكانته العلمية الملك عبدالعزيز رحمه الله .. أولاً بحلقات العلماء ، وثانياً بالتعليم المنظم .

٣ - حدثني بعض كبار المشايخ ، من أوائل الطلاب في حلقات المشايخ ، ومن سكنوا في الرباط بحي دخنه ، أن الملك عبد العزيز رحمه الله - من محبته لطلاب العلم ، خصص لطلاب معهد الرياض العلمي ، في عام ١٣٧٢ هـ يوماً زاروه في قصره ببستان البديعة ، وسلموا عليه وحادثهم وحادثوه ، ونصحهم بالحرص على طلب العلم ، وبصدق النية الخالصة في ذلك ، وأخبرهم عن دورهم في تأدية رسالة العلم ، ودعا لهم ، وكان يسميهم أولادي ، وتناولوا طعام الغداء في بستان البديعة بالرياض .

وكان ذلك في آخر أيام حياته .. وهذا من محبته للعلم ، واهتمامه بالطلاب وما عليهم من أمانة تحتاجها البلاد والعباد .

٤ - وقد أخبرني معالي الشيخ راشد بن صالح بن خنين ، أنه جاء للرياض للدراسة في أوائل الستينيات من القرن الماضي ، ومعه كتاب من الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله - قاضي الخرج ذلك الوقت ، موجه للشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - عن الطالب راشد المذكور ، ومستواه العلمي ، ورغبته في مواصلة الدراسة بحلقة الشيخ محمد .

فأمر الشيخ محمد ، المسئول عنده عن بيوت الطلبة ، بأن يسكن راشداً المذكور في أحد البيوت الجديدة ، في حي الوسيطى ، في غرفة مستقلة ، بدون

مشاركة أحد ، وأن يختار الغرفة التي تناسبه قبل أن تشغل الغرف .. لأنه من متقدمي الدارسين وكبارهم بتزكية الشيخ عبدالعزيز بن باز .

٥ - وسألت أحد الدارسين في ذلك الوقت ، عن عدد البيوت المخصصة لطلاب العلم وسكناتهم ، ما بين مملوك ومستأجر ، فقد رلى من ذاكرته قائلاً : إن بيوت الأخوان - وهم طلاب العلم - حسب ظني يتراوح عددها ما بين ٤٠ - ٥٠ بيتاً .. عدا رباط دخنه .

٦- ولما كانت الرياض ذلك الوقت لا يوجد بها مطاعم ، والطلاب الغرباء ، يخدمون أنفسهم بأنفسهم ، ومنهم صغار السن ، ومن لا يحسنون الطبخ ، كما أن أغلبهم في حاجة للتفرغ للدراسة والمذاكرة ، لذا فإن الملك عبد العزيز - رحمه الله - كما ذكر ذلك كل من الريحاني ، والزركلي عن كرمه ومضافاته^(١) قد خصص مضافات لإطعام كل وافد للرياض ، وجبتين يومياً ، من الرزّ واللحم ، إحداهما للبادية في شرق الرياض «ثلیم» ، والثانية للحاضرة باسم مضافة ابن مسلم ، في وسط البلد .

وكان اهتمامه بطلاب العلم ، أن اعتبرهم بمثابة الضيوف الرسميين المهياة لهم بيوت لسكناتهم حتى تنقضي حوائجهم : كبار الشخصيات ، وشيوخ القبائل والعلماء ، فخصص للطلاب وجبات يومية ، مرتين ، إحداهما بعد صلاة الظهر من قصر الحكم في الصفاة ، القريب من مقر سكنهم في دخنه والثانية بعد صلاة المغرب ، يحملها إليهم أشخاص معروفة اسمائهم عندهم ، نظير

(١) يراجع في هذا كتاب الريحاني ملوك العرب وما ذكره عن كرم عبد العزيز ٢ : ٨٩ - ٩٦ .

وكتاب الزركلي شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز وما نوه به عن كرم عبد العزيز ٤ :

١٤٢٠ - ١٤٣٣ .

نصف روبيه - ثم لما خرج الريال السعودي الفضة ، صارت الأجرة نصف ريال على كل طالب في الشهر .

- وقد خصص للطلبة مكافأة : عينيه ونقدية :

فالعينية تسمى « البروة » أو « العادة » وهى مقادير سنوية لمرة واحدة في السنة - كما ذكرنا من قبل - من التمر وزناً ، ومن العيش البرّ كيلاً بالصاع .. بحسب مراتب الطلبة فالكبار منهم والمتقدمون أكثر من المبتدئين ، « وشرة »^(١) نقدية ، مع الكسوة في آخر رمضان : كسوة العيد ، وهذه الكسوة تتباين بحسب مكانة كل شخص ..

يقول الزركلي : وكانت العادة السنوية ، أن يكسو الملك عبد العزيز جميع رجاله وحاشيته ، وموظفيه ليلة العيد ، كل على حسب درجته ، ولما تكاثرت عدد الموظفين ، اقتصر الكساء على كبارهم ، وكانت هذه الكسوة تعني العباءة - المشلح - والثوب والغترة والعقال ، ثم أدرك الملك أن تكرار هذا النوع من الكساء .. يزيد على حاجة المكسوّ .. فأمر بإرسال قطع من « الجوخ » توزّع على كبار الموظفين ، وعدد ممن دونهم .. ثم حوّل ذلك إلى « نقد » سنوي بما يساوي قيمة الكسوة ، أو يزيد عليها .. واستمر هذا إلى آخر أيامه ..^(٢) .

ولا شك أن نصيب القضاة والعلماء ، والطلاب من هذه العادة السنوية ، مستمر حسبما فهمت ممن تحدّثت معه ، ولكن لكل ما يناسبه ، ومقامه . والنقدية تصرف مرة واحدة في السنة ، مع كسوة رمضان والعيد ، وهى

(١) الشرة هى على نوعين مرة واحدة تعطى للوافدين على الملك عبد العزيز على اختلاف مستوياتهم كل بمقامه ومكانته . فإذا استمرت سنوياً عادة ، وتسمى أيضاً مناخ .

(٢) شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ٤ : ١٤٢٩ .

بحسب العملة السائدة في كل وقت ، وقد كانت متنوعة ، وأغلبها كانت بالعملة الهندية «روبيه» لأنها السائدة في الخليج وأغلب أجزاء المملكة ، ثم الريال الفرنسي ، كبير الحجم يحمل صورة الملكة تريزيا ملكة بلجيكا ، والمجيدي العثماني ، وهذه كلها بالفضة .

ثم تحددت بالعملة السعودية بالريال الكبير ، بمثل حجم الريال الفرنسي ، الذي ضربه الملك عبد العزيز : أولاً عام ١٣٤٥هـ وعام ١٣٤٦هـ ، ثم الريال الأصغر حجماً من سابقه ، الذي ضربه الملك عبد العزيز بعد ما سميت الدولة المملكة العربية السعودية ، حيث رأته مكتوباً عليه : ضُرِبَ في مكة عام ١٣٤٦هـ ^(١) هذا بالنسبة للأول الكبير ، وقد كتب على أحد الوجهين : ملك الحجاز ونجد وملحقاتها عبدالعزيز بن عبدالرحمن السعود ، وقد ذكر فؤاد حمزة ، أنه استبدل بالريال الأصغر حجماً في حدود عام ١٣٤٨هـ ، لكنني رأيت نموذجه بعد تاريخ تسمية المملكة باسمها الجديد ، وتنظيمها ولاية العهد للأمير سعود بن عبدالعزيز وكان ذلك التاريخ في عام ١٣٥٤هـ ^(٢) .

ولم نستطع معرفة مقدار ما يدفع للطالب من تلك المخصصات ، ولا نوع العملات التي تعطى له ، لأن الطلبة الأوائل ، قد انتقلوا إلى رحمة الله ولم ندركهم لنعرف منهم ذلك .

لكن الذي وصل إلينا علمه ، أن مخصصات طلاب العلم ، كانت تصرف

(١) انظر كتاب اصدق البنود في تاريخ الملك عبد العزيز آل سعود ص ٢٠٨ .. وقد نشرت صورة العملة وأجزائها جريدة أم القرى ، ونظام النقد .

(٢) يراجع عن العملة كتاب المملكة العربية السعودية لفؤاد حمزة ص ١٧٥ - ١٧٦ ، وقد ذكر الريال الأول عام ١٣٤٧هـ بينما الصحة ١٣٤٦هـ .

من مالية الرياض ، باسم « خريجة » ، أي كأنها مصرف جيب للطلاب ، تشبه مكافأة الطلاب في هذه الأيام ، والتي تطوّرت بالزيادة ، من مائة ريال « ١٠٠ » لطلاب دار التوحيد بالطائف ، إلى « ٢٩٠ » ريال لطلاب معهد الرياض العلمي عند افتتاحه ، « ٣٦٠ » ريال لطلاب كليتي الشريعة واللغة العربية بالرياض .. ثم زادت بعد ذلك المكافآت .

والذي نأخذ منه شاهداً على مقدار مكافأة الطلاب في الرياض ذلك الوقت ، قبل صدور العملة السعودية الفضيّة ، هو بيت شعر من نوادر الشيخ محمد البواردي [١٣١٩ - ١٤٠٤هـ] رحمه الله وهو من أوائل الطلبة الذين درسوا في الرياض ما بين عام ١٣٣١هـ إلى عام ١٣٤٠هـ .

لأنه تعين في عام ١٣٤٠هـ أو عام ١٣٤١هـ إماماً ومرشداً ، لإحدى قبائل العجمان ، في هجرة « حنيد » ، ثم إماماً ومرشداً لمسجد القصابا بالجبل ، وداعية بين البادية والحاضرة ، ثم في عام ١٣٤٥هـ عين قاضياً في الجبل .

وقد حدثني رحمه الله ، بشيئ ينبئ عن حاله ومكافآت طلبة العلم بالرياض ، تفيد في هذا الموضوع ، وكان مما قاله : كانت مكافأة الطلبة ضئيلة ، ووقت دراسته كانت مقداراً من الرزّ والتمر ، تصرف شهرياً من مالية الرياض ، فأعطى ورقة للمالية لاستلامها ، وليأخذ هذه « البروة » بها ، وهي المكافأة المخصصة لطلبة العلم أمثاله ، فذهب وراءها أياماً متتابعة وتعقيباً ، فقيل له إنها لدى : إبراهيم الشايقي ، لكنه لم يجد من يعطيه عنها خبراً ، فخشى الضياع ، وذلك قبل الحرب العالمية الأولى . أي قبل عام ١٣٣٤هـ .

فدخل على الشايقي يوماً ، وبعد السلام ، سأله عن حاجته ، فقال على

الفور :

لقد أصيبت بداء السل أوراقي فهل لها يا عباد الله من راقٍ

فضحك الشايفي ومن حوله ، وقال له : اجلس يا ابني ، ولن تذهب إلا بعد انجازها .. ثم زيد هذا المخصص للطلبة ، وتغير في الأشياء العينية «أرزاق» ، إلى مبلغ من النقود لكل طالب ، بحسب العملة الدارجة ذلك الوقت ، فكان كل طالب من النابهين يعطى «ست ربيات» شهرياً .. ولكن مع الحرب العالمية الأولى ، وتوالي الحرب والشح في الموارد ، ضاقت بالطلبة سبل المعيشة ، علاوة على الغلاء ، فالذي أهله موسرون يمدونه بما يعينه ، أما أبناء الفقراء - وهم الأكثر ذلك الوقت - فعانوا مشقة ، وقدموا التماساً بالزيادة .. والشيخ محمد البواردي رحمه الله هو الذي يتابع الأمر مع مالية الرياض ، لجراته وظرافته ، ولكن المدة طالت ، ولم يحصل استجابة ، فقال أبياتاً يتندر فيها على الطالبين ، ويستمطر العطف على حالتهم ، ومنها هذا البيت ، الذي ما إن بلغ الملك عبدالعزيز - رحمه الله - حتى ضحك ، وأمر بزيادة «خراج» طلبة العلم ، والاهتمام بهم :

خراجنا من الرباب ست ومن يرد زيادة يُزْتُ^(١)

لكن لم نعرف مقدار الزيادة .

- والشيخ علي الرومي قاضي التمييز بالرياض سابقاً ، قد ذكر لي أنه كان ممن سكن «رباط دخنة» بالرياض أيام الدراسة في الستينات ، من القرن

(١) الرباب جمع ربية أو رويبه وهي كلمة أعجمية جاء على القياس وللشعر عنده ، يُزْتُ : يدفع ويرد على عقبه بلا نتيجة ، وتراجع ترجمته رحمة الله في المجلة العربية ، وفي كتابنا من مشاهير علمائنا الصادر عن النادي الأدبي بالطائف ١٤٢١ هـ .

المنصرم أي بعد الشيخ محمد البواردي بحوالي عشرين عاماً ، وكانت المكافأة المخصصة لطلاب العلم تلك الأيام (١٢) ريالاً سعودياً فضياً ، في الشهر .. وكانت تمثل شيئاً كبيراً في وقتها . لكن قال لي غيره أنهم يتقاضون ما بين ١٠ لي ٣٠ ريالاً بحسب المستوى العلمي ، وتقدير المشايخ .

وقال : لقد فرحنا نحن الطلاب ، عندما جاء في أحد الدكاكين ، تحت الرباط مخبئاً ، أراحنا في المعيشة ، والحبز ذلك الوقت رخيص ، لمكانة الرياض . وروى لي حفظه الله نادرة مرّت به ، قال : كنت مع زميلي في الغرفة والدراسة نهى متطلباتنا ، وفي يدي اليمنى أشياء أريد أن أرميها في دخنة ، وفي يدي اليسرى ريالاً عربياً ، فغلطت ، ورميت الريال بدل الأشياء .. وكنت كفيفاً لا أبصر .. فأخبرت بعض زملاء في الرباط ، فذهبوا للبحث عن الريال ، ولكنهم لم يجدوه .

٧ - والمسؤول عن مخصصات طلبة العلم ، الذي يرجع إليه الطلبة ، ويتابع ما يعينهم ، في وقت من الأوقات كان عبدالرحمن بن محمد العساكر ، وعن الإشراف على الأربطة ، وبيوت الأخوان ، وتهيئة السكن ، وإسكان كل وافد جديد من الطلاب ، على بن عبدالله بن خميس ، بعد أخذ التوجيه من الشيخ محمد بن إبراهيم .. رحمهما الله .

وبالنسبة للكتب التي يطبعها الملك عبدالعزيز على نفقته ، أو تشتري بأمره ، يتم تخزينها وتوزيعها عن طريق إبراهيم الشايعي .. ويساعد في توزيعها على الطلبة ، بعد معرفة المشايخ ، ومستوى كل طالب بعد موافقة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله ، كل من الصانع ، وعلى بن عبدالله بن خميس .

وقد استمر هذان الأخيران في توزيع الكتب على الطلبة ، بعد افتتاح

المعاهد العلمية أيضاً .. إلى أن أستقر ذلك المستودع للكتب التابع لمكتب الشيخ محمد بن إبراهيم في حي دخنة .

جلسات المشايخ :

إن من المناسب ، أن نختم هذا الحديث ، بتعريف عن أسماء المشايخ الذين يأخذ عنهم الطلبة في الرياض العلوم ، ووقت جلوس كل واحد منهم في فترة من الزمن ، وليست إحصاء ، وإنما هي نموذج فقط لا استقصاء .

كان مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - بحي دخنة ، الذي كان يجلس فيه قبله والده إبراهيم بن عبداللطيف المتوفى عام ١٣٢٩هـ ، ثم عمه الشيخ عبدالله بن عبداللطيف رحم الله الجميع المتوفى عام ١٣٣٩هـ هو الجامعة التي يدرس فيها الطلبة المتوافدون على الرياض ، والتي تخرج منها الرعيل الأول من العلماء في عهد الملك عبدالعزيز ، إذ كانت غالبية الحلق في هذا المسجد .

والمشايخ يعلمون طلابهم ، مع العلم ، منهج السلف من هذه الأمة ، في أخذ العلم ، أدباً وحسن مأخذ ، وأمانة في تبليغه ، والصفات التي يجب أن يتخلق بها حامل العلم ، من ديانة وعبادة ، وخلق وورع ، ومساعدة للآخرين ، وسعى في مصالحهم ، ونصرة للضعيف .. وعفة وأمانة .

صفات رسخت في ذلك الجيل ، فكان في علمهم بركة وفي إخلاصهم أثر بارز .

كان كل شيخ من علماء الرياض له حلقة ينتظم فيها طلابه ، بحسب مادته التي يدرسها ، والمستوى الملائم لكل طالب ، كما أن لكل شيخ منهم

وقتاً يجلس فيه ، وفئة من الطلاب ينتظمون في حلقة .. شبيه بتوزيع الفصول الدراسية في المدارس والكليات .

وكبار المشايخ لا ينتظم في حلقاتهم ، إلا المتقدمين علماً وفهماً من الطلاب ، فالشيخ عبدالله بن عبداللطيف ، الذي جلس مكانه بعد وفاته الشيخ محمد بن إبراهيم ، والشيخ سعد بن عتيق ، وغيرهم ، هؤلاء يعتبرون من كبار المشايخ ، وصفوة العلماء .

وفي فترة زمنية ، كان توزيع جلسات المشايخ لطلابهم ، الذين كانوا مقيمين بأربطة العلم بالرياض - كما حدثني أحد الطلاب الذين درسوا عليهم .. وهذا على سبيل المثال لا الحصر - على هذا النحو :

- الشيخ محمد بن إبراهيم يجلس لطلابه ، بعد صلاة الفجر حتى الضحى في المسجد .. وفي الضحى بعد الإفطار يجلس في بيته لنوعية خاصة من كبار الطلبة ، المتقدمين علمياً ، ويدرس الفقه والعقائد .

أما بعد المغرب إلى صلاة العشاء ، فيقرأ عليه الشيخ عبدالعزيز بن شلهوب في تفسير ابن كثير ، ويعلق الشيخ محمد علي بعض الآيات : تفسيراً وتوضيحاً .

وقد ترسم خطاه الشيخ عبدالعزيز بن باز ، رحمه الله في أكثر شتونه واهتمامه بالجلوس للطلاب ، وقراءة تفسير ابن كثير .

- أما الشيخ عبداللطيف فحلقتة في الجنوب الغربي ، من مسجد الشيخ محمد بعد صلاة الظهر ، يدرس الطلبة النحو في الأجرومية ، والفرائض في الرحبيه .

- والشيخ حمد بن فارس كان يجلس للطلبة في مسجد الشيخ بعد العصر ، وفي النهار لتدريس اللغة العربية ، وعلومها : القواعد والعروض والصرف . والشيخ سعد بن عتيق أيضاً يجلس في مسجد الشيخ محمد بدخنه الضحى ، وبعد صلاة الفجر حتى تشتد حرارة الشمس ، يأخذ عنه الطلاب دروساً في الفقه والعقيدة .
- أما الشيخ عبدالله بن إبراهيم ، الأخ الأكبر للشيخ محمد بن إبراهيم ، فيجلس في الشتاء في نفس المسجد ، بعد صلاة الفجر لتعليم الناس أمور دينهم .
- كما كان الشيخ عبدالله بن راشد ، الذي درس عليه الشيخ محمد بن إبراهيم ، الفرائض ، وأخذ عنه أيضاً الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم ، والشيخ محمد البواردي الفرائض .
- أما الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ ، فكان جلوسه لطلابه في مسجده ، شرقي مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم ، وقد جدد بناؤه في السنوات الأخيرة بالبناء المسلح .